

UNIVERSITÉ SULTAN MOULAY SLIMANE جامعة السلطان مولاي سليمان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Beni Mellal



ماستر العلوم الشرعية في المغرب الأقصى والأندلس

"أبو شعيب الدكالي وجهوده في الحديث"

عـــــرض

في

مادة الدرس الحديثي في المغرب الأقصى

من إنجاز الطالب الباحث :

محمد أبناي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد زين العابدين رستم

2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

لا يستقر حال على حال لأي أمة من الأمم، ولا حضارة كيفما كانت ، بل تمر فترات ومراحل تاريخية تستفيد منها أحيانا أو تتغاضى، بقدر ما أوتيت من العلم والعلماء ، تلك هي حال الأمة الإسلامية وأخص بالذكر الأمة المغربية ، فهي أمة تربعت منذ أن دخلها الإسلام على حضارة الأمم العالمة والقائدة والسائدة على من حولها ، وهي أمة العلم والعلماء ، وأمة الفكر والمفكرين، إنها الأمة التي يسري عليها ما يسري على الأمم من، الإزدهار والإنفتاح، كما يجري على الخمول والركود.

هذا الخمول والركود هو الذي عاشته الأمة المغربية في مرحلة من مراحلها التاريخية على مستوى العلوم الإسلامية ، وخاصة علم الحديث ، إنه العلم الذي غاب ويغيب ويحيى ما حييت هذه الأمة وما حيي ضميرها ، الضمير الذي يبعثه الله ليحيي به أرضا ماتت وشرفت على الهلاك ، كما جاء في الحديث : ﴿إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها...﴾.

إنهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين يحملون هذا الحديث أبا عن جد يدافعون عنه ويذبون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

﴿ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ﴾.

إنهم العلماء أمثال الشيخ الحافظ أبو شعيب الدكالي الصديقي المغربي ، الذي سطع نجمه في سماء المغرب قبل أن يشرق في المشرق ، هذا العالم الذي أرسله الله شابا مغربيا ليحيي أثر الأمة الإسلامية الذي عفت السنون معالمها في المدارس الإسلامية المغربية لولا أن الله قيض له أمثال هذا الحافظ .

إذن فمن هو الشيخ الحافظ أبو شعيب الدكالي؟

وما هي جهوده في إحياء الدرس الحديثي في المغرب الأقصى؟

وما موقف العلماء والأمة الإسلامية من هذا الشيخ وجهوده ؟

كيف استطاع أن يعيد الدرس الحديثي إلى رحاب المدرسة الإسلامية بالمغرب ؟

وما هو منهج الشيخ واسلوبه في التدريس ؟

وما هي آثاره التي خلفها خدمة للعلوم الإسلامية والحديث خاصة؟

كل هذه الأسئلة نجيب عليها في هذه الورقات القليلة من حياة هذا الشيخ المعجز، ضمن خطة بحث ارتضيتها مقياسا اسلكه للجواب عن الأسئلة السابقة ، وهي كالآتي :

المبحث الأول : الإمام أبي شعيب الدكالي : وقد جعلت هذا المبحث عبارة عن بطاقة تعريفية للشيخ الحافظ ، ومن خلالها قدمت تعريفا باسمه وبلدته وعصره وشيوخه ورحلاته وكل ما يتصل بذلك كما ستجد مبينا بالتفصيل المطلوب في مكانه .

أما المبحث الثاني : فكان جهود أبي شعيب الدكالي في الحديث : وقد تركز هذا العرض المختصر عن جهوده في كل من بلاد المشرق العربي ، وكذلك في المغرب الأقصى ، وكذا منهج الشيخ في ذلك مركزا على آراء العلماء المتوفرة في منهجه. رحمه الله.

المبحث الأول: الإمام ابو شعيب الدكالي

إذا أردنا أن نحيط بالإمام الشيخ الحافظ ابي شعيب الدكالي لا بد وأن نقوم بالتعريف عن اسمه ومكان ولادته وكذلك عصره وشيوخه وتلامذته ، وغير ذلك من الجوانب التي سأتطرق إلي في ما يلي.

المطلب الأول: التعريف بابي شعيب الدكالي

الفقرة الأولى: اسمه وموطنه :

هو العلامة "بو شعيب" الدكالي الصديقي المكي الملقب بأبي زيد وابي مدين، ولد سنة ﴿1878 م﴾ الموافق لعام ﴿1295 هـ﴾ وتوفي رحمه الله، سنة ﴿1937م﴾ الموافق لـ﴿1356 هـ﴾ وهو عمر يقارب الستين عاما .

ينتمي الشيخ الحافظ إلى قبيلة " أولاد عمرو" إحدى القبائل العربية في دكالة ، ولد بالضبط في "دوار الصديقات" . بقرب من سوق اثنين الغربية.

و قبيلة وسط قبيلة "أولاد بوعزيز" شمالا ، و قبيلة " بوزرارة " شرقا ، و "أولاد عمران" في الجنوب الشرقي، وقبيلة "عبدة" في الجنوب . يتفرع عن قبيلة الشيخ ، فرعان هما : - دائرة الغنادرة - دائرة الغربية. ومدينة الغربية هي التي تشمل بلد الشيخ .

الفقرة الثانية : عصر الشيخ الحافظ :

ينتمي عصر الشيخ الحافظ إلى مرحلة تاريخية تمتد من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين، أي مرحلة تولي السلطان مولاي الحسن الأول حتى عهد الملك محمد الخامس.

وبذلك يكون الشيخ قد عاصر خمسة سلاطين وملوك علوية ، السلطان مولاي الحسن الأول ﴿ت 1894 م﴾ و السلطان مولاي عبد العزيز والسلطان مولاي عبد الحفيظ ﴿1908-1912﴾ ، والمولى يوسف ﴿1912 م – 1927 م﴾، والسلطان الملك محمد الخامس﴿1927 م – 1961 م﴾طيب الله ثراهم.[1]

الفقرة الثالثة : شيوخه في المغرب :

كانت دراسة الشيخ في مسقط رأسه بمنطقة ﴿الصديقات﴾ في مدرسة يطلق عليها ﴿زاوية الفقيه بن الصديقي﴾ حفظ فيها القرآن الكريم إلا خمسة أجزاء، وهو في سن الخامسة من عمره ، قبل وفاة والده ، وما كاد يصل سن العاشرة حتى استظهر القرآن الكرية كله.[2] و بالروايات السبع على شيخه ابي العباس بن المعاشو .[3] في سن الثانية عشر من عمره [4]

---

[1] شيخ الإسلام . محمد رياض . ص : 22
[2] شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره . الدكتور محمد رياض . ص : 101
[3] معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب . عبد الحفيظ بن عبد الكبير الفاسي . تحقيق : عبد المجيد خيالي . دار الكتب العلمية لبنان
[4] شيخ الإسلام . محمد رياض. ص : 102

وكان المشرف المشرف على هذه المدرسة عمه سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي يحرص على تعليمه وتتبعه لحفظ المتون العلمية في الفقه واللغة وشتى فنون العلم من ذلك «"متن الشاطبية"[5] و " مختصر خليل[6] " و تحفة بن عاصم" و " توضيح بن هشام[7] " و المرشد المعين[8]" و "الرسالة " و " تلخيص المفتاح" و المعلقات السبع" »[9]

إذا كانت هذه المرحلة الأولى العلمية للشيخ الحافظ حافلة والتتلمذ على جملة كبيرة من الفقهاء والعلماء وهم على النحو الآتي:

-1- السيد محمد بن المعاشي: أخذ المعاشي القراءات عن شيخه أحماد الدرعي أبو العباس، الذي أخذ بدوره عن الصالح السيد الزوين رحمهم الله.

-2- عمه الشيخ محمد بن عبد العزيز الصديقي: وهو المكلف بتربيته ومشرف على المدرسة التي درس فيها.

-3- ابن عم أبيه أبو زيد عبد الرحمان بن الفقيه الصديقي الغربي الدكالي: شيخ الجماعة في عصره.

-4- ابن عمه السيد الطاهر بن حمو الصديقي: قاضي الجماعة بمراكش.

-5- ابن عمه السيد محمد بن عزوز بن محمد بن محمد الصديقي، "العدل" في مراكش.

-6- أبو حامد العربي بن محمد بن العربي البوزيدي الصوجني الدكالي.[10]

-7-سيدي محمد إبراهيم السباعي: شيخ الجماعة بمراكش المحدث الفقيه المفتي الأصولي اللغوي المؤرخ، ينسب إلى أولاد أبي السباع الذين يتلقى نسبهم مع الأدارسة.[11]

الفقرة الرابعة : شيوخه في المشرق:

كانت للشيخ الحافظ رحلات إلى المشرق من بينها إلى مصر سنة 1314 هـ ، أي عندما كان من عمره 19 سنة تقريبا ،[12] أخذ فيها من ثلة من العلماء الأفذاذ منهم:

الشيخ علي السلاوي، وعلي الصالحي(ت : 1906 م) ، والمحدث الفقيه أحمد بن محجوب الرفاعي الفيومي ، والشيخ محمد الصيمومي (محمد بن سالم صموم المصري)، وشيخ الإسلام سليم بن أبي فراج البشري، والشيخ شمس الدين محمد بخيت المطيعي(ولد :1856 م ت: 1935 م) ، والشيخ دسوقي العربي، والإمام اللغوي الشهير محمد محمود بن أحمد الشنجيطي.[13] و الشيخ محمد عبده (ولد 1849م ت 1905).[14] والشيخ علي محمد البلاوي(1835م)[15] والشيخ عبد الله القدومي النابلسي.[16]

---

[5] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع هي منظومة للإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني .
[6] أمهات الفقه المالكي غني بفقه الفروع ألفه خليل بن إسحاق أبو المودّة المصري المعروف بالجندي.
[7] المسمى أوضح المسالك إلى الفية بن مالك ، ويعرف لدى الطلبة ب" الموضح".
[8] المعروف بابن عاشر في عقيدة الشعرية وفقه مالك وفي طريقة الجنيد.
[9] شيخ الإشلام . محمد رياض . ص : 103
[10] شيخ الإسلام . محمد رياض . ص : من 104 إلى 107.
[11] نفس المصدر . ص: 112
[12] معجم الشيوخ . عبد الحفيظ بن عبد الكبير الفاسي.
[13] معجم الشيوخ . عبد الحفيظ بن عبد الكبير الفاسي . ص : 242
[14] شيخ الإسلام . محمد رياض . 126
[15] نفس المصدر . ص : 128

والشيخ المحدث عبد الرزاق البيطار الدمشقي(1834م ت : 1916 م)[17] والشيخ بدر الدين الدمشقي (1851 م) والشيخ أحمد بن الشيخ ابراهيم عيسى النجدي.

الفقرة الخامسة : تلامذته :

❖ تلامذته في المشرق :

- تلاميذ مغاربة في الحجاز:

-1- الحاج مسعود بن أحمد الفقاوي، أحد مفاخر سوس بإلغ : التقى به حين ذهب لأداء مناسك الحج وأجازه الشيخ الحافظ بعد مدة سنة من الملازمة [18]
-2- الحاج محمد أو القايد الحاحي (ابن الطالب) أحد علماء سوس من "حاحة". وكذلك حصل على الإجازة منه.
-3- الأستاذ أبو عبد الله محمد العربي الناصري: وهو الأخ الأكبر للاستاذ جعفر الناصر، ومحمد الناصر، أبناء العالم المؤرخ المعروف صاحب كتاب الإستقصاء في تاريخ المغرب الاقصى.
-4- الشيخ محمد الحجوجي الدمناتي.
-5- الشيخ محمد بن عبد السلام الريفي.

- تلامذته في اقطار العالم الإسلامي :

-1- الشيخ عيسى بن محمد القناعي الكويتي (ولد 1876 م).
-2- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ولد 1876 م).
-3- الشيخ عمر من حمدان الحرسي المالكي التونسي.

❖ تلامذته في المغرب :

1) محمد بن المدني الحسيني.
2) عبد الله كنون الحسني الطنجي.
3) محمد بن عبد السلام السائح الرباطي
4) محمد بن ابراهيم الكتاني الفاسي الرباطي.
5) عبد الله الجراري الرباطي
6) عبد الحفيظ الفاسي الرباطي.
7) ابراهيم بن محمد الكتاني السلاوي.

---

[16] نفس المصدر . ص : 153
[17] نفس المصدر. ص : 154
[18] نفس المصدر. ص : 182

8) محمد بن اليمني الناصري الرباطي.

9) أخوه محمد المكي الناصري الرباطي.

10) محمد بن العباس الرفاعي الرباطي.

11) أخ عبد الله الجراري محمد بن عباس الجراري

12) العربي التلمساني الصنجي[19]

المطلب الثاني: التعريف برحلة ابو شعيب الدكالي:

كانت من عادة طلاب العلم الشرعي في المغرب أن يتتلمذ الطالب على يد فقهاء مسقط راسه في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية حتى إذا استنفذ علماء بلدته يتجول بحثا عن المدارس العلمية ذات الصيت العالي فيما يطلب ليكون له مشيخة كبيرة يتبرك بهم ويأخذ عنهم الفنون العلمية ، وكان للشيخ الحافظ ابي شعيب الدكالي رحلات علمية كبير في شتى بلدان المغرب ،وخارج المغرب ونذكر منها ما يلي:

- **رحلات داخل دكالة ونواحيها :**
  - مدرسة مولاي الطاهر القاسمي[20] : تقع هذه المدرسة بضاحية قبيلة أولاد فرج بمنطقة دكالة ، وهي قريبة من بلدة الشيخ الحافظ ، تأسست هذه المدرسة في عهد الولي الحسن الأول. أخذ فيها عن شيخه الحاج التاغي نزيل قبيلة "بزام" بالشاوية. وما زالت هذه المدرسة قائمة الذات إلى الآن تحت إشراف وزارة الأوقاف .[21]
  - مدرسة سيدي علي إمعاشوا : (المعاشات) : تنسب المدرسة إلى الولي الصالح سيدي علي إمعاشوا الإدريسي النسب ، تقع المدرسة بمنطقة "أفوغال" ناحية الصويرة ، ولا زالت إلى الآن قائمة .
  - مدرسة سيدي الزوين : تنسب المدرسة إلى مؤسسها الولي الصالح سيدي الزوين ،المتوفى(**1312** هـ) يرجع تأسيسها إلى عهد المولى الحسن.[22]

- **رحلات خارج منطقة دكالة :**

---

[19] شيخ الإسلام . ص : 384

[20] نسبة إلى الطاهر بن سيدي علي بن احمد، أمه فاطنة بنت الطاهر.عاش في القرن19 .ينتسب إلى القواسم، وهو من المغارات وكلمة أمغار كلمة بربرية وقد أطلق اسم المغارات على الدوار الذي توجد به الزاوية. ونقصد بالقواسم هنا ما يشمل قواسم (واهلة) أصحاب زاوية سيدي إسماعيل(بوشربيل) وقواسم احد أولاد فرج أصحاب زاوية مولاي الطاهر. وكل من سيدي إسماعيل ومولاي الطاهر ينتسبان إلى الولي الصالح سيدي علي بن أبي القاسم تلميذ الشيخ أبي النيار من بني أمغار أصحاب رباط تيط حيث يوجد ضريح مولاي عبد الله أمغار ، ويسميه القوم اختصار سيدي علي بن قاسم وقد توفي علي بن أبي القاسم سنة 951ه، ودفن على مقربة من جامع من جامع الكتبيين بمراكش.
{موقع ريشتي (http://richati.com/?q=node/16) }

[21] شيخ الإسلام . محمد رياض

[22] شيخ الإسلام . محمد رياض

- رحلة فاس: قرر الشيخ الحافظ أن يسافر إلى فاس للتزود في العلم والمعرفة بجوامعها ومدارسها العلمية ، وقد اصطحب صديقه قاسم الدكالي -الذي كان يريد أن يكون تاجرا كبيرا وغنيا- وشترا الصديقان حمارا يضعان عليه رحلهما من مراكش إلى فاس. ولما وصلا إلى فاسد قصد جامع القرويين وكان أول درس حضره كان في أسماء الإشارة في التوضيح . واستمر في حضور الدروس العلمية مدة ثمانية قبل أن يرحل عن فاس.
- رحلة الريف : استمر الشيخ الحافظ في بالتدريس في الريف مدة من الزمن تقارب سنتين، وكان يجمع فيها بين التدريس الوظيفة "العدلية" بجمع قوت السفر وزاد الهجرة للإبحار إلى المشرق.[23] ومع ذلك استطاع أن يحفظ فيها موطأ الإمام مالك .[24]

- **رحلاته إلى المشرق :**

كعادة طلاب المغرب ينبهرون بسمعة المشرق العربي مهبط الوحي ونزول الرسالة، فكان ولا بد لطالب العلم التزود والتبرك من الشيوخ الفضلاء الأجلاء في شتى أقطار العالم الإسلامي ، ذلك هو أمل الشيخ آنذاك حيث رحل في سنة **1214** هـ «**1896** م» إلى مصر، وذلك بالضبط بعد وفاة مولاي الحسن الأول بثلاث ، أيام تولي المولى عبد العزيز.[25] ثم بعدها إلى مكة المكرمة :

- رحلته إلى مصر:

مع هذا الكم الهائل من المحفوظات يذهب الشيخ إلى الزهر الشريف ليدرس على علمائها ومفكريها آنذاك ، ففكر أن يدرس فيها "علم الفلسفة" ودرس فيها علم المنطق، وحضر دروس "صحيح البخاري" كما أنه استطاع بعد مدة قصيرة أن يحفظ مائة ألف حديث . وصحيح الإمام مسلم، وسنني النسائي الصغرى والكبرى، وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة [26]. وأقام الشيخ الجليل فيها ست سنوات حصل فيها على شهادة الأزهر[27]
درس الشيخ الحافظ بالأزهر الشريف أيام توالي الإصلاحات التعليمية الجديدة في الأزهر الشريف بإدخال تعديلات قانونية من أجل النهوض بالأزهر ليواكب تقدم المجتمع وتطوره ، كما جرت العادة في كل اقطاب المعلم في العالم الإسلامي في تلك الفترة .وبذلك يكون الشيخ قد أدرك الأنظمة الجديد الجاري بها العمل المتعلقة بالدراسة والامتحانات .

- رحلته إلى الحجاز:

---

23 شيخ الإسلام . محد رياض
24 نفس المصدر. ص : 125
25 نفس المصدر . ص: 129
26 شيخ الإسلام. محمد رياض . ص : 141
27 نفس المصدر

كان سبب رحلة الشيخ الحافظ إلى مكة رغبة ملك الحجاز من ملك مصر آنذاك الخديوي لعالم متفقه ومحدث حافظ ولكن هذا المرلتدريس العلوم الإسلامية بمكة . بوساطة الشيخ سالم البشري، بعد أن حدث الملك أن شابا مغربيا يافعا حافظا للقرآن الكريم برواياته ومتقن للعلوم الشرعية ، فكلم الشيخ سليم البشري الحافظ أبا شعيب فوافق .

وقد استقبله الملك " الشريف عون الرفيق " في قصره بمكة فأكرمه قبل أن يباشر حلقات التدريس، ليجتمع له أفواج من الناس إلى "تفسير القرآن الكريم" ودراسة كتب السنة «صحيح البخاري، ومسلم، وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه والترميذي» والنحو والبلاغة والبيان والأدب «الكامل، التبين، الأمالي، المقامات الحريرية». والسيرة النبوية بكتاب القاضي عياض ، وشمائل الترميذي. ودرس اصول الفقه «مختصر ابن الحاجب» ، والرسالة والمختصر في الفقه

ذاع صيت الشيخ الحافظ في مكة وما جاورها ، فصار الناس يكرمونه ويقيمون له المآدب الفخمة يحضرها كبار العلماء في المشرق والمغرب ، وانبهر الناس بعلمه وصغر سنه وتصدره للتدريس ومنصب مفتي الحرمين على المذاهب الأربعة وخصيصا بالمسجد الحرام .

إلا أن الشيخ الفاضل لم يقتصر على تدريس العلوم الشرعية فحسب ، بل اغتنم الفرصة للتزود والتبرك من شيوخ الحرم المكي وحصل على إجازات من الشيوخ الوافدين والمقيمين في الحرم المكي.

واستمر الشيخ الحافظ في التدريس والعطاء العلمي مدة من الزمن تقارب **6** سنوات ثم رجع إلى المغرب زائرا سنة «**1905** م» ليعود من حينه إلى مكة مرة أخرى وهذه المرة استمرت المدة في الحجاز **3** سنوات ليزور المغرب سنة «**1908** م» ثم يرجع إلى الحجاز وهذه المرة الأخير ليعود إلى المغرب و في استقباله المولى عبد الحفيظ [28]

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه .

أمثال الشيخ الحافظ أبي شعيب الدكالي لا يحتاج أن يثنى عليه ، بل أن يثني هو على غيره ، فهو الحافظ الفقيه ، والفقيه البارع المجتهد ، وهو الأديب الفصيح اللابق ، والثناء عليه إنما يكون مما قدم ، نعم وقد قدم للأمة خيرا كثيرا في مجال احياء العلوم الإسلامية ، وكان من واجب العلماء إنصافه ، ليعرف فضله من جهله ، وها ثلة من العلماء أثنو على الشيخ الحافظ :

- ☒ الفقيه الوزير محمد بن الحسن الحَجْوي «**1376**هـ» في "مختصر العُرْوة الوُثْقى" بقوله: "نادرة النوابغ حفظا، وذكاء، وفهما، وأخلاقا، وليت أرض المغرب؛ بل أراضي الإسلام تكثر من إنبات أمثاله "

---

[28] شيخ. ص : 235

- قال الشيخ عبد الحفيظ الفاسي (1383هـ) في "معجم شيوخه":"أوْحد علماء عصره، وأشهر علماء الغرب في وقته، من أهل التّفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، إمام في علوم الحديث والسنة، وفقه معاني الآثار، والخلاف العالي والنازل..."
- قال في حقه المؤرخ عبد السلام ابن سودة (1400هـ)، في "إتحاف المطالع":"آخر حفاظ المغرب ومحدثيه، الشيخ الإمام، علامة الأعلام، المحدث المفسر، آخر من رأينا على طريق الحفاظ المتقدمين الذين بَلَغَنا وَصْفُهم".
- قال العلامة الأديب عبدالله الجراري (1402هـ) في كتابه: " من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ": "كان نادرة المغرب وأحد علمائه، إمامًا في علوم الحديث والسنة، وفقه معاني الآثار، والخلاف العالي والنازل، ومعرفة أنظار أئمة المذاهب ووجوه أقوالها، والامتياز والاستنتاج، مع حفظ المتون، والجمع بين الروايات، ومعرفة المخرجين والمتابعين، وأنساب الرواة وتراجمهم، داعيةً إلى السُّنة، شديدَ القمع لأهل الأهواء والمبتدعين والمشعوذين، كان آيةً في علوم القرآن وقراءاته، وإعرابه، وناسخه ومنسوخه، وأحكامه ومعانيه، ووجوه بلاغته، وأنواع تفسيره، متقن لعلم القراءات عارف بوجوهها، متمكن في العلوم العربية بأنواعها، ملازم لنشر العلم والدءوب على تدريسه.

المبحث الثاني: جهود أبي شعيب الدكالي في الحديث :

يعتبر أبو شعيب الدكالي الحافظ الأبرز في عصره فاق في ذلك أقرانه وحتى شيوخه، الأمر الذي مكنه أن يتبوأ مكانا عاليا في الحرم المكي لخدمة الحديث الشريف، وقد تبين هذا من خلال دروسه العلمية التي ألقاها في الحديث وعلومه في المغرب بعد أن عاد إليها ، وكذلك الدروس الحديثية في الحرم المكي.

المطلب الأول: جهود أبي شعيب الدكالي في خدمة الحديث في المشرق:

اشتغل الحافظ أبو شعيب بالكتب الحديثية وغيرها من فنون العلم ،لكن اشتغاله بالكتب الحديثية كان في صدر اهتمامه ،فأولاها عناية فائقة في كل مجالسه وحلقاته التي اقامها في الحرمين الشريفين ، غير أن شخصية ابي شعيب الدكالي أصعب من أن تصنف في مجال دون مجال ، فالشيخ موسوعة شاملة وبحر زاخر من العلوم والفنون ، فهو المحدث وهو الفقيه وهو الأديب وهو المفسر، فمن الصعب جدا حصر أعماله العلمية أو بالأحرى محاضراته ، إذ قام خلال مدة انتدابه لذلك يقدم المحضرات العلمية في كل مجال ومن ذلك الكتب الحديثية بعد التفسير. وكانت من تلك الكتب مايلي:

- ✓ موطأ الإمام مالك
- ✓ صحيح الإمام البخاري.
- ✓ صحيح الإمام مسلم
- ✓ سنن أبي داود.
- ✓ سنن الترميذي
- ✓ سنن ابن ماجة.

بالإضافة إلى ذلك كتب علم الحديث والمصطلح ، بشرح البيقونية للزرقاني، والتدريب للسيوطي.

المطلب الثاني: جهود الشيخ الحافظ في خدمة الحديث بالغرب :

بعد تجربة المشرق العربي التي دامت مدة من الزمن بين الطلب والعطاء العلمي يعود الشيخ إلى موطنه الأصلي ليعود بالنفع على أبناء المغرب بالدروس العلمية الحديثية ، بالإضافة إلى علوم أخرى فمن الدروس الحديثية التي أ قامها الشيخ هي درس الموطأ في مسجد الشرفاء المواسين بمراكش ، ودروس حديثية وعلمية أخرى مثل بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لأبي جمرة، في مسجد ابن يوسف العامر ومسجد الكتبية و يحضره كثير من الناس في مختلف الطبقات منهم المدرسون والعامة وأصحاب الشرف ، يسلك فيها عرض مسائل الموطأ من محفوظاته ويقابلها بالمذاهب ، الأربعة .

وكذلك بجامعة القرويين بفاس في العهد الحفيظي، وهي أول مدينة نزل بها الشيخ بعد عودته من المشرق، درس فيها صحيح البخاري. وكذلك درس جامع الترميذي في مسجد ضريح أحمد الشاوي، وأيضا ضريح مولاي إدريس الأزهر درس فيها الموطأ ، وجامع القلعة وأيضا .

وفي الرباط بعد أن انتقل السلطان إليها أمره باستئناف قراءة الكتب الحديثية في الأشهر الثلاثة ، رجب وشعبان ورمضان من كل سنة . كما خصص ربيع الأول لقراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض ، والشمائل للترمذي، ومسند الأئمة الأربعة .[29] كما هي العادة المغربية في التبرك بالحديث في هذه الأشهر.

وليست الرباط وحدها بل عدة مدن مغربية تنقل إليها الشيخ من خلالها ألقى دروسا في شتى العلوم خاصة علم الحديث ، ودراسة كتبه فيها كمدينة تطوان والدار البيضاء وسلا وطنجة و تارودانت وأبي الجعد وغيرها .إذا كل مدن المغرب استفادت من علم الشخي الحافظ في مجال الحديث .

لكن المدن التي لها الحظوة في تلك الدروس الحافلة هي الرباط بالدرجة الأولى نظرا لاستقرار الشيخ بها ، وفاس ومراكش بحكم العمل الرسمي، فكانت الكتب الحديثية التي دارسها الشيخ في الرباط هي:

1-موطأ الإمام مالك بن أنس

2-مسند افمام أحمد بن حنبل

[29] شيخ الإسلام . ص : 265

3-صحيح الإمام البخاري
4-صحيح الإمام مسلم.
5-سنن ابن ماجه
6-سنن أبي داود
7-سنن الترميذي
8-سنن النسائي
وكانت هذه الدروس تلقى غالبا في الأماكن التالية :

- ✓ الزاوية الناصرية ، وهي صاحبة الحظ الأوفر.
- ✓ المسجد الأعظم
- ✓ ضريح سيدي فاتح
- ✓ مسجد القبة
- ✓ جامع ضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني.
- ✓ منزل الشيخ بشارع سيدي فاتح بالرباط آنذاك

ويحضرها كبار العلماء والمثقفون للاستفادة من علم الشيخ ، كالفقيه الغازي بن محمد سباطة الرباطي، والأستاذ الطيب بن محمد المراكشي ﴿كحل العيون﴾. والأديب السيد عباس المعروف.

المطلب الثالث :- منهجه في تدريس الكتب الحديثية :

أجمع تلامذة الشيخ على أنه مان من العلماء الراسخين الكبار في شتى العلوم الشرعية بلغ فيهم مبلغ البارع الحافظ الراسخ المتمكن وفي الحديث على الخصوص رواية ودراية . يجمع بين الحفظ المنقطع النظير والإستنباط العجيب فيها .

وقد اعتمد الشيخ الحافظ منهجا واسلوبا خاصا به في تدريس الكتب الحديثية ، فكان يستهل درسه بذكر سنده واتصاله برواة الحديث الذي سيفسره ، ثم يتبعه بتراجم رجاله والتعريف بهم وأحوالهم في حياتهم ويتبع ذلك بالكلام على الحديث من الناحية الإصطلاحية وما فيه من اتصال وانقطاع واختلاف في اللفظ والرواية ، ويتخلص إلى تحليله والبساط الذي جاء فيه ،وما احتف به من الحوادث وألأخبار، وما يعضده من الآيات القرآنية ، ويعقب عليه بالحكم الشرعي الذي تضمنه ،ومن أخذ به من الأئمة ، وإن كان أخذ به مالك توسع في الكلام عليه وبين جهة ماخذه ،ونصره

، وعلق عليه بكلام أئمة المذهب ، وكثيرا ما كان يورد كلام الشيخ خليل ويستشهد به ويختم دراسته بالمستنبطات والفوائد المأخوذة منه صراحة وضمنا وفهما وقياسا. [30]

المطلب الربع : رأي بعض الشيوخ والعلماء في منهج الشيخ :

- عبد السلام بن سودة :

" المحدث المفسر على طريق أئمة الإجتهاد وآخر حفاظ بالديار المغربية ومحدثها من غير منازع ولا معاض.. وهو آخر من رأينا وأول من رأينا على طريق الحفاظ المتقدمين الذين بلغنا وصفهم بالحفظ والإتقان والإستحضار..."

- العلامة محمد بن عبد السلام السائح :

" كانت همته الدراية ، كان أولا يتقن العربية إتقانا ، ويحفظ كثيرا من الشواهد .. " أما حفظ السنة فهو الفحل الذي لا يجدع أنفه ، يملي على الحديث الواحد الكثير الطيب مما له ارتباط فني ، ويجمع أطرافه المتفرقة ، ثم يأخذ في استنباط الأحكام الفقهية منه ، ويعادل بينهما بين مختصر خليل ويحكي الخلاف العالي.

- الأستاذ ابراهيم بن محمد الكتاني:

" وكان أسلوب الشيخ في الحديث أسلوب كبار المحدثين يبدا السارد في سرد الباب مع السند والأحاديث التي بعده ، ثم يتكلم على السند فيترجم لكل واحد من رجاله مستفيضة ثم يذكر ولاداتهم ووفاتهم.

- الاستاذ الجزولي:

"لما رجعت إلى الرباط أدهشتني ، وكانت أعظم ظاهرة أدهشتني فيها وأثارت اهتمامي وأوقفتني موقف الذهول والانتباه ، مجالس العالم الحافظ المحدث المفسر المؤثر البليغ المبدع الشيخ أبي شعيب الدكالي في الزاوية الناصرية .." [31]

المطلب الرابع : الآثار العلمية للحافظ أبي شعيب الدكالي:

يؤسفني أن أشير - بعد بحث عميق في الكتب التي اعتنت بالشيخ الحافظ اعتناء مشهود له في ترجمة الشيخ الحافظ - أن الشيخ لم يخلف ولو كتابا واحدا في المجال الحديثي أو في العلوم الشرعية الأخرى وخاصة كتاب مستقل، إنما كان للشخ محاضرات ومجالس علم وتدريس.

---

[30] شيخ الإسلام . ص : 236

[31] شيخ الإسلام . ص : 385، 386 ، 388، 391 .

وليس بمعجزه فهو الحافظ وهو المحدث وهو من شهد له الأنداد في العلم الغزير والفقه وسعة الاطلاع في كل المجالات العلمية ، لذا آثر الشيخ – كما أزعم – تأليف الرجال بدل تأليف الكتب ، كما قيل قديما " شغلني تأليف الرجال عن تأليف الكتب" وهو أمر محمود خاصة في المرحلة التاريخية التي عاش فيها الشيخ ، والتي تحتاج إلى عالم فقيه وحافظ للعلوم ، ومصلح للأمة ومبين لأحوالها وعلاجها ، ولم لا فهو الذي قضى شبابه في ذلك .

قال محمد علي اليولو الجزولي " لم أقف للعلامة الدكالي رحمه الله على كتب أو مؤلفات ، وإن كان في مقدوره ذلك ، بيد أنه صرف همته إلى التعليم المباشر، ولم يشغلها بتأليف الكتب، وما أثِر عنه إنما هي خطب ومحاضرات، وملخصات، وتقاريظ كتب، وأقضية في مسائل حَكَم فيها،وإجازات أجاز بها تلاميذه .[32]

ويرجع سبب ذلك حسب الدكتور عباس الجراري في كتابه "مع المعاصرين" يقول " اتخذ التدريس وسيلة لأنه لم يكن كاتبا .وهو واع بالواقع وما يحتاج إليه فلجأ إلى التدريس باعتباره وسيلة للتبليغ .

فيما يرى تلميذه العلامة عبد الله كنون أن مكانة العالم ليست بالتأليف ، وإنما بالآثار التي يخلفها لدى اتباعه ، أليس ملنا كتبا وآثارا لفقيدنا العظيم –يقصد الشيخ الحافظ ابا شعيب –[33]

إلا أن الدكتور محمد رياض ذكر بعض آثاره المكتوبة وهي عبارة عن محاضرات وخطب نذكر منها ما يلي :

- ✓ محاضرة في أول تدوين الحديث .

وهي محاضرة بين بضعة عشر صفحة ، تحدث فيها الشيخ تعريف للحديث أو السنة المطهرة ،وكذلك عن اعتناء الصحابة الكرام بالحديث الشريف ، بالإضافة إلى قضية تدوين الحديث كتابة في عصر الصحابة ، علاوة على بعض قضايا التدوين ومراحله .[34]

محاضرة حول الجامع الصحيح للامام البخاري :

بدأ الشيخ بعد الحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، بفضائل الجامع الصحيح ، ثم الجامع الصحيح في المغرب ، تحدث على عناية المغاربة بالصحيح للامام البخاري بدءا من الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين ، ثم اختتم ببعض علماء الحديث في المغرب .[35]

هذا فقط ما وجدته بعد البحث والسبر في تراجم الشيخ المعتمدة والتي تستند إلى وسائل محسوسة في ترجمة الشيخ ، كالمعاصرة من العلماء الذين عاصرون ، والتلاميذ الذين لازموه في دروسه العلمية طوال حياته ، وأكبر من ذلك ولده .

ومع ذلك فكل تلك التراجم خالية من ذكر لأي كتاب ألفه الشيخ الحافظ ، على سبيل المثال فقد تفحصت ترجمة الشيخ للدكتور محمد رياض ولم أجد فيه إلا بعض الأثار من قبيل ما ذكرت ، أو

---

32 محمد علي اليولو الجزولي . العَلامة المحدث شيخ الإسلام أبو شُعيب الدُّكالي الصّديقي (1356هـ)- وجهوده في الحديث . مركز ابن القطان .
33 نفس المصدر .
34 شيخ الإسلام .
35 شيخ الإسلام .

بعض المحاضرات التي كان يلقيها الشيخ الحافظ . كما أنني اطلعت على ترجمه في " معجم الشيوخ " ، المسمى" رياض الجنة " أو المدهش المطرب " لعبد الحفيظ بن الطاهر بن عبد الكبير الفاسي﴿1383 هـ﴾ ، ولم أجد له شيئا كتبه ولا مؤلفا خطه بيده ، كل ذلك يؤكد أن الشيخ ا=لم تكن له مؤلفات علمية لا في الحديث وعلومه ولا في علوم أخرى

بل يؤكد كل تلاميذه أن الشيخ لم يخط قلما في كتاب باستثناء بعض وثائق العدلية التي أصدرها في مدة توليه المهام العدلية والقضائية .وبعض الإجازات ، وبعض الأسانيد ، وفتاوى.

لكن السؤال المطروح الآن هو لماذا الشيخ لم يكتب مؤلفات ، على غرار علماء في عصره ؟ أليس في مقدور الشيخ كتابة المؤلفات والمجلدات ؟ وهو المعروف بالحافظ السريع والفهم الدقيق في المسائل والأحكام .ألا ينقص ذلك من قدر علمه ؟

الجواب سيكون إن شاء الله عن هذه التساؤلات المثارة سيكون حسن خاتمة وذلك على الشكل التالي :

خاتمة :

قيل قديما "كثرة التأليف مشغلة عن التحصيل" ولعل هذه المقولة إن لم أكن واهما تنسب إلى ابن خلدون رحمه الله ، ذلك أنه قد قرأت له ما يفيد – على الأقل – أن ذلك مذهبه أو رأيه إذ يعتبر ابن خلدون أن كثرة التأليف عائقة على التحصيل. ويقرر"أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها " فذلك أدعى إلى تعقيد العلم وتبعيده عن الناس.

وهو خلاف منهج الشيخ الحافظ القائم على تبسيط العلم للناس من خلال إنزال العلم للناس لا أن يتطلعوا إليه في الأوراق والأسفار والمجلدات الضخام بين ركام الخلافات وكثرة الإصطلاحات ، وتشتيت المتعلمين ، وإعاقتهم على التحصيل والفهم والعمل الذي مناط كل ذلك .

ذلك أن الشيخ بمنهجه هذا قدم للحديث الشريف ما قد لا يستطيع أن يقدمه السابقون بعده ، وقد كان له بالغ الأثر لتقريب الناس إلى الحديث الشريف بأسلوبه في التعليم والتدريس ، وقد أدرك الشيخ ذلك بعد أن علم حاجة المغرب والأمة الإسلامية إلى منهج للقرب من خلاله يستطيع الناس الوصول إليه ، بعد أن كان الحديث في منعة من التعليم بكثرة طرقه وتشعب مدارك من حفظ للرجال و الأسانيد وكل ما يحتاج إليه المحدث ، حتى قيل " علم الحديث علم من لا علم له " قاصدين بذلك أن علم الحديث يصعب الجمع بينه وبين العلوم الأخرى، وهذا –لعمري– جهل ، فكيف تصح العلوم الأخرى دون مصدرين القرآن والسنة ؟ !

هذا كله ساهم في ابعاد الدرس الحديثي في المغرب الأقصى بدعوى التبرك بالحديث الشريف بدل جعله في متناول العامة والخاصة ، وقد ساهم الشيخ الحافظ في إبعاد تلك النظرة السائدة عن علم الحديث ، بعد أن كان يقرئ من أجل التبرك ، حول دروس العلم في المغرب وحلقات العلماء إلى

حلقات حديثية بامتياز، يحضرها العامة والخاصة من العلماء والمثقفين . وكل هذا الفضل راجع إلى الشيخ الحافظ.

وهو الأمر الذي ساهم في انتشار وذيوع صيت الحافظ في كل أقطار العالم الإسلامي، من الهند جنوبا إلى ماليزيا وأندونيسيا شرقا إل المغرب الأقصى غربا ، هذا فإن كان العلماء ينتشر علمهم بما كتبوا وما خطوا بقلمهم فإن أبا شعيبا الدكالي لم ينتشر علمهم لا بهذا ولا بذاك بل، بتلاميذه الذين درسهم من جميع أقطار العالم العربي والإسلامي، والمغرب الأقصى على وجه الخصوص، هذه الطليعة العلمية التي تخرجت على يد الشيخ الحافظ هي من يكون من بعد كتبا تتحدث عن جهوده في علم الحديث وفي شتى العلوم الإسلامية .

نعم إن هذه الثلة المباركة من التلاميذ والطلاب الذين سيصيرون من بعد شيوخا وعلماء على نهج شيخهم الحافظ يرفعون رأسه وينشرون تعاليمه ، بعد أن نهلوا منه ما يكفيهم ليكونوا عرافا له من بعده ، وأنا هنا أمدكم ببعض تلك الشعل العلمية التي رفعت رأس الشيخ الحافظ ، وخلدت ذكره إلى الآن توزعت على الخريطة المغربية من الشمال إلى الجنوب :

ثلامذه الشيخ في مدينة فاس:

- ✓ أبو بكر كنسوس الفاسي.
- ✓ أبو الشتاء أو الحسن الصنهاجي الفاسي.
- ✓ أبو الشتاء الجامعي الفاسي.
- ✓ أحمد بن زيد البدراوي.
- ✓ أحمد بن محمد الشامي.
- ✓ أحمد بن الطاهر المنجرة.
- ✓ أحمد الشهبي الفاسي.
- ✓ أحمد العمراوي الفاسي.
- ✓ أحمد النميشي الفاسي.
- ✓ أحمد الحجامي الفاسي.
- ✓ الحسن بن العربي بوعياد الفاسي.
- ✓ الحسن بن الشيخ التاودي ابن سودة .
- ✓ الحسين بن البشير الفاسي.
- ✓ رشيد الدرقاوي الفاسي.
- ✓ الشهبيهي الإدريسي الطاهر بن التاقي.
- ✓ الصديق بن أحمد بن الطاهر الفاسي.
- ✓ الطايع بن الحاج السلامي الفاسي.

- ✓ العابد بن عبد الله الفاسي.
- ✓ العباس بن عبد الرحمان الشرفي لفاسي.

وغيرهم كثير في مدينة فاس ونواحيها ، قد جمعهم الدكتور محمد رياض في كتابه عن ما يقارب ستين تلميذا كلهم تتلمذوا على الشيخ الحافظ .

ثلامذته في مدينة الرباط :

- ✓ أبو بكر بن احمد بناني الرباطي.
- ✓ أحمد بلافريج .
- ✓ أحمد بن عمر بن جلون الرباطي.
- ✓ أحمد بن فقيرة المكناسي الرباطي.
- ✓ محمد بن عبد الواحد بنونة الرباطي

وغيرهم كثير يناهزون الثلاثين تلميذا .

مدينة سلا :

- ✓ المهدي بن محمد الكتاني.
- ✓ محمد التطواني السلاوي.
- ✓ عبد الرحمان بن أحمد حجي السلاوي.
- ✓ أبو بكر بنو شنتوف

ما يقارب عشرين عالما

مدينة مراكش :

- ✓ أبو بكر المسيوفي ، ابن عم محمد بن عثمان المسيوفي .
- ✓ مولاي أحمد بن المعطي السرغيني.
- ✓ أحمد بن محمد البشير السباعي الشهير بالرجراجي
- ✓ الجيلالي بن بوشعيب سراج الدين بن الطاهر الدكالي.
- ✓ الرحالي الفروقي.
- ✓ محمد بلقيز.
- ✓ الطيب بن محمد اكحل العيون المراكشي.

وغيرهم كثير قاربوا العشرين

- ✓ الحاج أحمد بن عبد السلام بنشقرون .
- ✓ القاضي أحمد بن قاسم المنصوري الزياني.

- ✓ الفقيه محمد بن محمد علال غازي.
- ✓ محمد بن سعيد المكناسي.

بلاد سوس العالمة :

- ✓ إبراهيم التازيلالتي الرسموكي.
- ✓ ابراهيم الإلغي السوسي، أخ محمد المختار السوسي.
- ✓ رشيد المصلوت .
- ✓ داود الرسموكي.
- ✓ أحمد الكاشطي النتاني.
- ✓ سعيد التنانتي.
- ✓ صبار محمد بن سلام الأخصاصي.
- ✓ محمد بن أحمد الخنبوبي.
- ✓ محمد المختار السوسي.
- ✓ القاضي عبد الرحمان بن علي الدرقاوي الإلغي.
- ✓ الحاج عبد الله بن محمد الإيغشاني.
- ✓ الحاج محمد آيت القائد .
- ✓ الحاج مسعود الوفقاوي.

بلاد تافيلالت :

- ✓ مولاي التقي العلوي المدغري.
- ✓ عبد الرحمان بن الصديق الغريسي الفلالي.
- ✓ مولاي عبد الواحد بن محمد العلوي المدغري.
- ✓ سيدي محمد بن علي العربي العلوي المدغري، الملقب بشيخ الإسلام .

وغيرهم مما يصلون إلى **221** تلميذا انتشروا في الآفاق المغربية من كل قرية ومدينة زارها فضلا عن الذين انتقلوا إلى مدينة الرباط وفاس ومراكش وقت مقامه في تلك المدن ، ولا شك أن الشيخ الفاضل لم يدخر جهدا في أيصال العلوم الإسلامية إلى الأجيال اللاحقة وخاصة علم الحديث ومن هنا تبين بالملموس أن الشيخ الحافظ البارع "المصلح" " المجدد" لم يكتب بقلم كتابا ولكنه ربى بلسانه وعلمه واسلوبه رجالا ، هم عربون خدمته للعلم والحديث خاصة ، ويكفيه ذلك شرفا ، فهو بذلك يتعبر "النموذج" الفريد من نو والتجديد على نهج وخطى جده صلى الله عليه وسلم الذي لم يؤلف كتاب ولا خطى بيده قلما بقدر ما كتب عنه وألف في نهجه في التعليم والتربية

والإصلاح للأجيال التي في زمانه و عده من علماء عصره بل والذين قبله ومن بعده الذين آثروا أوقاتهم لتعليم العلم والإصلاح الذين سيأتون من بعده ، مستعينا بالوحي الذي نزل عليه أرضية للإصلاح والتعليم والتربية . نعم هذا هو منهج الشيخ الحافظ في خدمته للحديث الشريف والعلوم الأخرى كلها .

رحم الله الشيخ

ومن دلنا عليه

وحفظ الله من نحبنا إلى هذه الشخصية المغربية الفذة الفريدة من نوعها .

****

المراجع المعتمدة :

- شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره . للدكتور محمد رياض . الطبعة الأولى .
- معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب . تأليف عبد الحفيظ بن محمد الطاهر عبد الكبير الفاسي (**1383**) تحقيق وتنقيح : عبد المجيد خيالي . دار الكتب العلمية لبنان.
- مركز ابن القطان . محمد علي اليولو الجزولي . العلامة المحدث شيخ الإسلام أبو شُعيب الدُّكالي الصّديقي (1356هـ)- وجهوده في الحديث

فهرس المحتويات :